

Claudia Gürtler

أولا - بولا
أو: جزيرتي.. جزيرتك

الترجمة إلى العربية: د. محمد الحشاش



vielfalt. viel wert.



Diözesan-
Caritasverband für das
Erzbistum Köln e. V.



أُولا - بُولا
أو: جزيرتي.. جزيرتك

الترجمة إلى العربية: د. محمد الحشاش

(2) بعيدا جدا وسط البحر، حيث تكون زرقة المياه صافية جدا، تقع جزيرة صغيرة، تداعبها أمواج البحر من كل جانب. هناك في تلك الجزيرة كان الأخضر قد بنى له بيتا صغيرا تحت إحدى أشجار النخيل. وكثيرا ما كان يجلس على كرسي من كراسي البحر أمام باب البيت، ويحدق ببصره في البحر ساعات طويلة. في أيام متوالية. طوال أسابيع كثيرة. كان يقوم بالصيد أحيانا، وأحيانا برمي الحجارة صوب البحر. وهذا ما كان يحسنه بصفة خاصة. كما كان يسترخي المرة بعد المرة في ملل شديد ... إلى ... (2)

(4) أن ... حدث ذات يوم أن ظهرت في الأفق نقطة حمراء. عندئذ جلس الأخضر على كرسي البحر الذي كان قد صنعه بنفسه، وأخذ يراقب تلك النقطة الحمراء، التي كانت تقترب شيئا فشيئا. وعندما اقتربت من الجزيرة، إذا به يرى قاربا صغيرا بشراع أحمر ممزق. وواحد أحمر جالس في القارب، يجدف به في البحر بشكل جنوني، وأمامه في (4)

(5) مقدمة القارب كرة حمراء كبيرة، لم يكن الأخضر قد شاهد مثلها أبدا من قبل. وينطلق القارب باتجاه شاطئ الجزيرة، ويصطدم به متوقفا ومحدثا صوتا قويا. وينزل الأحمر من القارب، ويخرجه على الشاطئ، ثم يلقي بنفسه على رمال الشاطئ ويستسلم للنوم. وسرعان ما استغرق في النوم تماما. (5)

(6) حينئذ وقف الأخضر حائرا لا يدري ماذا يفعل، وبذلك لم يبق بأي تصرف. وظل الأحمر غارقا في النوم ليل نهار مدة يومين متتاليين دون أن يستيقظ؛ تسطح عليه الشمس في النهار، وأشعة النجوم في الليل. ثم استيقظ أخيرا، ومشى إلى القارب، وحمل الكرة الحمراء الكبيرة على ظهره، وسار بها حتى وضعها في ظل إحدى النخلات. ثم أقبل على الأخضر وخاطبه قائلا: "أولا- بُولَا!"، ثم ابتسم ابتسامة ملأت وجهه الأحمر، وسأله قائلا: "كسينو-غونغي؟"
لقد كان يرغب في أن يدخل بيت الأخضر، حتى يتمكن أخيرا من الجلوس في الظل بشكل مريح. وبالمناسبة فإن "أولا- بُولَا!" تعني: "مرحبا، أيها الصديق!"، و"كسينو-غونغي؟" تعني: "كيف حالك؟" ولكن الأخضر لم يكن يعرف تلك اللغة. لقد اعتقد أن "أولا- بُولَا!" تعني بالتأكيد "إرحل من هنا فوراً!". كما اعتقد أن "كسينو-غونغي؟" تعني "هذه ليست فعلا جزيرتك، أليس كذلك؟". (6)

(8) لهذا ردَّ في غضب: "طبعاً، هي جزيرتي! فلترحل أنت فوراً!".
ثم أمسك بالأحمر وأداره للخلف، ودفعه أمامه حتى تجاوزا وسط الجزيرة. وهناك وبشكل مفاجئ خلَّص الأحمر نفسه من قبضة الأخضر، ثم أمسك بذراعيه وحملق إليه بعينين تشع منهما الدهشة والفرع والتوسل. عندئذ أصيب الأخضر بالفرع أيضاً، وتراجع خطوة كبيرة إلى الوراء بسرعة، مبتعداً عن الأحمر. ثم تتنح و قال بلهجة لطيفة: "حسنٌ، يمكنك أن تحصل على نصف الجزيرة الأيسر، أما أنا فأقيم في نصفها الأيمن، هل تفهم؟". ولكن الأحمر لم يفهم شيئاً من كلام الأخضر، وأحس بشكل ما بأنه لا يحبه، وسأله بصوت خفيض وحزين: "إيزي- بلاوزي؟"، ثم سأل مباشرة مرة أخرى: "إيزي- بلاوزي؟" أي: "ألا تحبني؟" (8)

(10) أخذ الأخضر يتصعب عرقاً؛ فقد اعتقد أن الأحمر يسأله عما إذا كان يمكنه أن يسكن معه في بيته. وأخذ يتخيل الأحمر وهو يأكل طعامه، ويشرب ماءه، ويستلقي على كرسي البحر يحرق في البحر لعدة أيام، ولعدة أسابيع، ويركن مرتاحاً إلى الاسترخاء في ملل، تماماً كما كان يفعل هو دائماً. ولذلك صاح بأعلى صوته "لا". وعندما سأله الأحمر بلطف: "غلونغا-تونغا؟" -أي: "هل يمكنني الحصول على كوب ماء؟" - صاح الأخضر بصوت أكثر ارتفاعاً: "لا، لا، لا، لا!".

فهم الأحمر ما يعنيه الأخضر بكلمة "لا"؛ فكلمة لا في جميع اللغات لها نفس الوقع في السمع. ثم هز الأحمر كتفيه وراح يبحث عن جدول ماء، وعندما وجده، أخذ يشرب منه إلى أن ارتوى تماماً، وأصدر صوت "آآآه!"، وهذا يعني: "الآن، أنا أحسن حالاً!". (10)

(12) مع حلول المساء عاد الأحمر. وعندما رآه الأخضر قادماً أقبل عليه مسرعاً، وأشار له في انفعال إلى الأرض. وحينئذ شاهد الأحمر أيضاً ما يشير إليه الأخضر، وأدرك على الفور ما هو المقصود به: لقد خط الأخضر خطاً بعرض الجزيرة كلها؛ رسم خطاً فاصلاً؛ رسم حدوداً. وبذلك أصبحت الجزيرة منقسمة إلى نصفين؛ نصف أيسر، ونصف أيمن. وأبدى الأخضر رغبته في أن يحتفظ هو بنصف الجزيرة الأيمن، وأن على الأحمر أن يرضى بالبقاء في نصفها الأيسر. وعندئذ رد الأحمر في هدوء: "تسيغ-تساغ!". وهذا الرد يعني: "هذا يرضيني". ولكن الأخضر، الذي كان قد شعر بالذنب، تصور أن الأحمر يصفه بأنه أحمق وبخيل وغير متساهل. (12)

(15) لذلك ازداد وجهه اخضراراً وصاح قائلاً: "أنت الأحمق"، ثم أخذ في رمي الحجارة صوب البحر. وهذا ما كان يحسنه بصفة خاصة، فكثيراً ما كان يمارسه، كلما شعر بالملل.

أما الأحمر فهتف وهو يضحك: "بيتي-بليتي!". أي: "شكراً جزيلاً!". إذ في الأثناء أخذت الرياح تهب بقوة شديدة من جهة البحر، وبذلك تمكّن الأحمر من الانتفاع بتلك الحجارة. وفي كل مرة كان يعبر فيها حجر طائراً فوق الخط الفاصل ويهبط في ناحيته، كان يهتف قائلاً "بيتي-بليتي". ولكن الأخضر فهم أنه يقول له: "يا فاشل، ألا تستطيع رمي الحجارة؟"، ولذلك استمر في رمي الحجارة، حتى لم يبق في نصف الجزيرة الخاص به أي حجر. وبذلك أصبح في حماية جيدة من الرياح.

فرح الأحمر بذلك وأراد أن يوجه الشكر للأخضر. أحضر الكرة الحمراء الكبيرة، ودحرجها بسرعة فوق الخط الفاصل إلى ناحية الأخضر، الذي تسمّر في مكانه من الرعب؛ فقد ظن أن الأحمر بعث إليه بقنبلة. ولذلك وقف مذهولاً لا يقوى على الحركة. (15)

(16) حينئذ هتف الأحمر قائلاً: "بيتي- بليتي، بونغو- بولا"، أي: "شكراً جزيلاً، يا صديقي العزيز"، وابتسم ابتسامة ملأت وجهه الأحمر. وبقفزة قوية فوق الخط الفاصل انتقل إلى ناحية الأخضر، وضرب بيده الكرة الحمراء الكبيرة ضربة خفيفة، فانفلقت إلى نصفين محدثة صوتاً قوياً. وسرعان ما سال قليل من عصيرها على الرمل. وعندئذ هتف الأخضر في استغراب وإعجاب: "أوه!". لقد رأى الآن أن الكرة الحمراء الكبيرة ما هي إلا نوع من الفواكه. وأما الأحمر فقد صاح في إعجاب: "آه!", وأخذ يأكل من أحد نصفي تلك الفاكهة، بينما ناول النصف الآخر للأخضر، الذي هتف أيضاً "آه!" وعيناه تبرقان من شدة إعجابه بطعم تلك الفاكهة اللذيذ؛ فقد وجد أن تلك الفاكهة هي أفضل فاكهة أكلها حتى الآن. وبدأ يسأل: "هل هذا بطيخ؟". وهز الأحمر رأسه في استنكار تام، وقال: "لا!- سانغي- بلانغي". وعندئذ أخذ الأخضر يردد: "آه، سانغي- بلانغي"، وبدأ يبتسم في شيء من التحفظ، فرد عليه الأحمر بابتسامة ودية. وظل الاثنان يأكلان من تلك الفاكهة، حتى أكلاها عن آخرها، وكانا يلفظان بذورها بعيداً في الرمال، وكان الأحمر يلفظ البذور بشكل أفضل من الأخضر. وبعد أن نظف كل منهما فمه مما علق به من عصير الفاكهة، قال الأخضر للأحمر: "يا صديقي العزيز". (16)

(18) عندئذ رد عليه الأحمر قائلاً: "بونغو- بولا!". ثم وضع إحدى ذراعيه على كتفي الأخضر، وظل جالسين يحدقان في البحر، إلى أن اشتدت ظلمة الليل؛ فقد وجدا في ذلك رتبة رائعة. وعندئذ ذهب الأخضر إلى بيته لينام، بينما استلقى الأحمر في قاربه. وفي الصباح التالي استيقظ الأخضر مبكراً جداً، ليزيل الخط الفاصل بين نصفي الجزيرة. ولكن الأحمر كان استيقظ قبله، وأزال الخط الفاصل. (18)

(21) توجه الأخضر إلى الأحمر وخاطبه قائلاً: "مرحباً، يا صديقي العزيز!", ثم طيَّب على كتفه بحرارة وبكل ود واحترام. رد الأحمر قائلاً: "أولاً، بونغو- بولا!", وطيَّب على كتف الأخضر بكل ود واحترام، وبحرارة قوية، لدرجة أن الأخضر كاد يسقط على الأرض. وهكذا بقي الأحمر في الجزيرة، وأخذ يرعى براعم السانغي- بلانغي التي نبتت من البذور التي ألقتها كل منهما في الرمال، بينما أخذ الأخضر يعمل بالصيد. وفي المساء كانا يأكلان معاً - السمك مع السانغي- بلانغي. وعندما كانا يشعران بالملل من هذه الأكلة، كانا يخترعان أكالات أخرى. (21)

(22) وذات يوم أخذ الأحمر يُرقع شراع قاربه الممزق، ويسحب القارب باتجاه الشاطئ، ويتحقق من أنه خال من الثقوب، ويأخذ من السانغي- بلانغي واحدة حمراء كبيرة، ويضعها في مقدمة القارب. ثم يجلس بنفسه فيه.
عندئذ صاح الأخضر قائلاً: "لا!".
صاح الأحمر متسائلاً: "لا؟".
أجاب الأخضر: "لا"، وهو يهز رأسه بشدة.
حينئذ نزل الأحمر من مركبه، هاتفاً في سعادة كبيرة: "يا صديقي العزيز"، وطبّط على كتف الأخضر بحرارة.
حينئذ قال الأخضر: "بونغو- بولا"، وطبّط على كتف الأحمر بحرارة قوية، لدرجة أنه كاد يسقط على الأرض. (22)

(24) ظل الاثنان يعيشان معا في الجزيرة، هناك، حيث تصفو زرقة مياه البحر تماماً؛ يعمل الأخضر بالصيد، بينما يرعى الأحمر نباتات السانغي- بلانغي.
ولكن في عتمة الليل، وعندما يكونان مستغرقين في النوم، كان الأخضر يحلم أحياناً بأحلام مزعجة. كان يرى في منامه أن الأحمر يعتلي قاربه، وينطلق به سائراً في البحر، وأنه بقي وحده في الجزيرة التي تتسع أيضاً لاثنين بشكل جيد.
حينئذ كان يصيح قائلاً: "لا"، ويهب من نومه وأنفاسه مضطربة، ويتحسس في الظلام، إلى أن يلمس كتفاً قوية، أو يداً كبيرة، ويحس بالأحمر وهو يستدير متتهداً على جنبه الآخر، ويتمتم وهو نائم قائلاً:
"سانغي – بلانغي، بونغو – بولا ..". عندئذ كان الأخضر يحس بالهدوء والراحة، ويتنهد هو أيضاً في سعادة، ويستدير على جنبه الآخر، ويستغرق في نوم عميق إلى ساعة متأخرة من الصباح. (24)

كلمة ختامية

البشر مختلفون؛ مختلفون في لون البشرة؛ مختلفون في لغاتهم؛ لكل منهم سيرته الذاتية المتميزة. هذا التنوع في مجتمعنا أصبح في العقود الأخيرة أكثر وضوحاً وتأثيراً؛ إذ بعد مرور خمسين عاماً على أولى الاتفاقيات لاستقدام العمالة إلى ألمانيا، نشأت وتنشأ بيننا في الأثناء أجيال أحفاد وأحفاد أوائل العمال الضيوف. لقد كان من قدموا إلينا آنذاك إيطاليين بالدرجة الأولى، ثم قدم بعد ذلك مهاجرون من روسيا ذوو أصول ألمانية، ومهاجرون من تركيا. أما اليوم فإن معظم من هاجروا إلى ألمانيا قدموا كلاجئين من مناطق الحروب في العالم، على سبيل المثال من العراق وسوريا. لقد أصبحت السيرة الذاتية لكل رابع مواطن في ألمانيا تتضمن حالياً علاقات مباشرة له مع بلد آخر من بلدان هذا العالم.

ورغم الاختلافات بين الشعوب والحضارات، فإنه يتضح لنا، إذا ما أمعنا النظر جيداً، "أننا متشابهون أكثر مما نعتقد" – رغم الشعور بغربة الآخر، ورغم الفوارق الظاهرية

إن قصتنا هذه؛ قصة أولاً- بُولَا تتناول موضوع "الشعور بغربة الآخر"، وهي في ذلك تتخلى عن "الانتقاد والتوجيه"؛ فالخضر والحمرة يوضحون لنا كيف أنه من السهل أن تفقد الفوارق البسيطة إلى المعادة، والإقصاء. ولكنهم يوضحون أيضاً كيف أنه من السهل التغلب على ذلك؛ فالتعارف المتبادل والفهم المتبادل والاحترام المتبادل والتفاهم المتبادل تمثل مفاتيح التعايش المشترك الناجح. قصة أولاً- بُولَا تعرض لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة، ومرحلة التعليم الابتدائي بعض النقاط المرتبطة بمعالجة موضوع "التغلب على الشعور بغربة الآخر". وبالتأمل الدقيق يتضح أن هناك إمكانيات كثيرة لتطبيق هذه النقاط على حالات في حياتنا اليومية.

إن الترجمة التركية والروسية والعربية لقصة أولاً- بُولَا تهدف أيضاً إلى أن تشجع على القراءة كل الذين قدموا من مناطق هذه اللغات، ولا يزالون يجدون صعوبات في قراءة قصص الأطفال الألمانية. كما يتضح في القصة مدى أهمية وجود لغة مشتركة.

قصة أولاً- بُولَا هي مساهمة من جمعية كاريتاس الأبرشية التابعة للأبرشية الرئيسية بمدينة كولونيا الألمانية في إطار الشعار الذي وضعته الجمعية لعام 2006، وهو "الاندماج يبدأ في الرأس – من أجل تعايش مشترك أفضل بين المهاجرين والألمان". إذ إن التعايش المشترك الناجح يمكن من مكافحة التبعاعد والعنف المتزايدين، ويساهم في تقوية التواصل بين البشر. وأول خطوة على هذا الطريق ينبغي أن تتمثل في التعامل مع الآخر بانفتاح، والتعرف على المشتركات أيضاً، وليس على الفوارق فقط.

Frank Johannes Hensel

Diözesan-Caritasdirektor

فرانك يوهانيس هينزل

المدير العام لجمعية كاريتاس الأبرشية